لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٤ من السنة ٣ عن ذي القعدة ١٣٣١ = تشرين ١ ١٩١٣

الجرامقة

Les Garmacites, Djarmaces ou Djarâmikeh.

١ً مقدمة البحث

من الاجيال البائدة التي لابقية لها اليوم الجرامقة . وقد اختلف العلماء في اصلهم ونسبهم كما ذهبوا مذاهب في لغتهم وتمدنهم . ولكي لايقع ارتباك في تعريفهم نذكر اولاً راي العرب فيهم ثم نذكر راي الافرنج ونختم البحث بما يعن لنا فنقول :

٢ً . راي العرب في الجرامقة

قال القلقشندي في كتاب نهاية الارب، في معرفة انساب العرب : «الجرامقة هم اهل الموصل في الزمن القديم ، من ولد جرموق بن اشور بن سام ، فيما قاله ابن سعيد . وقيل : الجرامقة من ولد كاثر (او جاثر) بن ارم بن سام فيما قاله غيره . » اه .

وقال السيد المرتضى في تاج العروس : الجرامقة قوم من العجم صاروا بالموصل كما في الصحاح. وزاد غيره : في اوائل الاسلام . وقال الليث : جرامقة الشام انباطها ، الواحد منهم جرمقاني ، وهذا كالاسم الخاص . ومنه قول الاصمعي في الكميت : هو جرمقاني . ويقال ايضاً في الواحد منهم الجرموقي . وهكذا نسب ابو العباس احمد بن اسحق الكاتب الشاعر » اه .

وقال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف ص ٧٨ : وكانوا (اي الكلدانيون) شعوباً وقبائل منهم : النونويون (اي التينويون) والاثوريون والارمان والاردوان والجرامقة ونبط العراق واهل السواد » اه .

وقال ابن الفقيه فى مختصر كتاب البلدان ص ٣٥ : قال الكلبى : علوج مصر :القبط ؛ وعلوج الشام :جراجمة ؛وعلوج الجزيرة : جرامقة ؛ وعلوج السواد : نبط ؛ وعلوج السند : سيابجة ؛ وعلوج عمان : المزون ؛ وعلوج اليمن : سامران (وفى رواية : الابناء وهو الاشهر). اه .

وذكر الطبرى فى تاريخه الكبير (١ : ٨٢٧) ملك الحضر وعده من الجرامقة قال : وكان بحيال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون ... والعرب تسميه « الضيزن » وقيل : الضيزن من اهل باجرمى وزعم هشام بن الكلبى : انه من العرب من قضاعة وانه الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة .... الى آخر ما ذكره عنه. وقال مثل هذا القول تقريباً ابن الاثير فى ١ : ٢٧٨ من الطبعة الافرنجية والذين سماهم الطبرى وابن الاثير وابن خلدون بالجرامقة سماهم الاصفهانى فى الاغانى ٢ : ٣٧ بنى جرم او بنى الاجرام .

وقال ابن خلدون (٢ : ٦٨) لما هلك فالغ قام بامره بعده ابنه ملكان فغلبه سوريان على الجزيرة . وملكها هؤلاء الجرامقة اخوانه فى النسب بنو جرموق بن اشوذ (اى اشور) بن سام وكانت مواطنهم بالجزيرة وكان ابن اخت سوريان منهم الموصل بن جرموق فولاه سوريان على الجزيرة واخرج بنى عابر منها ولحق ملكان منها بالجبال فاقام هناك . ويقال ان الخضير (واهل صحيح الرواية : ملك الحضر) من عقبه . واستبد الموصل على خاله سوريان بن نبيط ملك بابل وامتازت مملكة الجرامقة من مملكة النبط .... ويقال ان يونس بن متى ... من الجرامقة من سبط بنيامين بن اسرائيل من ابنه . » وقال المذكور فى ص ٦٩ : ويقال : ان الجرامقة وهم اهل نينوى غلبوا على بابل ملك سنجاريف (سنحاريب) منهم .... ولما هلك بختنصر ملك من بعده فيما ذكروه ابنه نشبت نصر ثم من بعده بنيصر وغزاه ارتاق مرزبان كسرى من ملوك الكيانية (الكيانية) فقتله وملك بابل واعمالها وصار النبط والجرامقة رعية للفرس وانقرضت دولة النمارذة ببابل . هكذا ذكر ابن سعيد ونقله عن داهر مورخ دولة الفرس . » .

وقال ابن الاثير (٥ : ٥٦ من الطبعة الافرنجية و٥ : ٢٨ من الطبعة المصرية) وما اهل الشام ؟ — هل هم الا تسعة اسياف ؟ سبعة منها الى وسيفان على . وما مسلمة (بن عبد الملك) الا جرادة صفراء اتاكم فى برابره وجرامقته وجراجته وانباط وابناء فلاحين واوباش واخلاط .... »

وفى تاريخ حمزة الاصفهانى (ص ٣٩) : « من بالشام وفلسطين من الجرامقة والجراجمة »

وذكر لغة الجرامقة ياقوت الحموى فى ١ :٢٦ قال : قال محمد بن احمد ابو الريحان البيرونى : الاقليم ... هو الرستاق بلغة الجرامقة سكان الشام والجزيرة .. على ماذكر حمزة بن الحسن الاصفهانى وهو صاحب لغة ومعنى بها » ...

وممن تعرض لذكر الجرامقة المسعودى فى مروج الذهب (٧ : ١١٩) قال : انتهى (المعتصم) الى الموضع المعروف بالقاطول فاستطاب الموضع وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرامقة وناس من النبيط على النهر المعروف بالقاطول آخذاً من دجلة فبنى هناك قصوراً ... وقال ايضاً فى (٨ : ٩١) : « وكان غناء النبط والجرامقة بالقيروارات وايقاعها يشبه ايقاع الطنابير » اه

وقال ابن العبرى (ص١٣١) الجرامقة هم قوم بالموصل اصلهم من الفرس.

وقال صاحب الاغانى (١٦ : ٧٦) بنو الاحرار ... هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذى يزن . وهم الى الان يسمون بنى الاحرار بصنعاء ويسمون باليمن : الابناء ؛ وبالكوفة : الاحامرة ، وبالبصرة : الاساورة ، وبالجزيرة : الحضارمة ؛ وبالشام الجراجمة » اه . وقد روى صاحب تاج العروس هذه التبذة بفرق ظاهر قال فى مادة خضرم : الحضارمة : قوم من العجم خرجوا فى بدء الاسلام فسكنوا الشام . وفى الصحاح : تفرقوا فى بلاد العرب . فمن اقام منهم بالبصرة فهم الاساورة (وفى الاصل المطبوع : الاساودة بالدال وهو خطأ واضح) ؛ ومن اقام منهم بالكوفة فهم الاحامرة ؛ ومن اقام منهم بالشام فهم الحضارمة (كذا والاصح الجراجمة) ؛ ومن اقام منهم بالجزيرة فهم الجراجمة (كذا والاصح الجرامقة) ومن اقام منهم باليمن فهم الابناء . ومن اقام منهم بالموصل فهم الجرامقة . » اه

وذكر صاحب لسان العرب الجرامقة قال : جرامقة الشام : انباطها

واحدهم جرمقـاني . ومنه قول الاصمعي في الكميت : هو جرمقـاني. التهذيب: الجرامقة : جيل من الناس . الجوهري : الجرامقة قوم بالموصـل اصلهم من العجم . ، اه .

هذا جل ماجاء عند العرب عـن الجرامقة وانت ترى ان بعضهم لم يميز بين الجرامقة والجراجمة ، ولاسيما اللغويين منهم ولهذا لاحظ علماء الافرنج ان العرب لم يميزوا بين قوم وقوم. والاصح : انهم لم يقولوا كلهم هذا القول بل بعضهم كما ظهر من ذكر اقاويلهم .

٣ رأى الافرنج في الجرامقة

كان رأى الافرنج في اول عهدهم بالابحاث الشرقية ان الجرامقة كانوا من الفرس، مستندين في ذلك على قول العرب انفسهم وعلى ابن العبري وعلى الاسم نفسه لان فيه الجيم والقاف وقد قالت العرب لاتجتمع الجيم والقـاف في كلمة عربية . — وممن كان على هذا الرأى جميع علماء الشرقيات الى عهدنا هذا حتى قام العلامة نلدكي فخالف من سبقه وقال انهم من اصل ارمي او نبطي . وما قال ذلك الا وتأثره جميع المستشرقين لمكانة هذا الرجـل الكبير من العلم ووقوفه على اخبار الشرق وتواريخه وقوفاً عجيباً . على اننا وان كنا لانخالفه في انهم كانوا ارميين الا اننا نثبت انهم كانوا من العرب لا من النبط السريانيين والكلدانيين كما ارتأى . ودونك ادلتنا :

٤ ادلتنا على ان الجرامقة كانوا عرباً

اول دليل نؤيد به رأينا ان الجرامقة كانوا عرباً نأخذه من معارضـة عبارة الطبري بعبارة الاصفهاني صاحب الاغاني وكلاهما من المتقدمين. والدليل الثاني نأخذه من نسب احد مشـاهير الجرامقة الذي اورده هذان الامامان في العبارة المذكورة وهي: « ان الخضر كان قصراً بحيال تكريت بين دجلة والفرات وان اخا الخضر الذي ذكره عدي بن زيد هو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجرام بن عمرو بن النخع بن سليح من بني يزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وامه جيهلة (ويروى جيهلة) امرأة من بني يزيد بن حلوان اخي سليح بن حلوان . وكان لا يعرف الا بامه هذه . وكان ملك تلك الناحية وسائر ارض الجزيرة . وكان معه من بني الاجرام (وهم الذين سماهم

الطبرى فى ١ : ٨٢٧ وابن خلدون فى ٢ : ٦٨ بالجرامقة) وسائر قبائل قضاعة ما لا يحصى وكان ملكه قد بلغ الشام فاغار الضيزن فاصاب اختاً لسابور ذى الاكتاف وفتح مدينة نهرشير (ويروى بهرشير والاصح بهرسير) وقتل فيهم فقال فى ذلك عمرو بن السليح بن حدى بن لدها بن غنم بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة :

لقيناهم بجمع من علاف ... وبالخيل الصلادمة الذكور
فلاقت فارس منا نكالاً ... وقتلنا هرابذ بهرسير
دلفنا للاعاجم من بعيد ... بجمع م الجزيرة كالسعير

قالوا : ثم ان سابور ذا الاكتاف جمع لهم وسار اليهم فاقام على الحضر اربع سنين لا يستغل منهم شيئاً ثم ان النصيرة (ويروى النضيرة) بنت الضيزن (اتفقت مع سابور فدلته على عورة المدينة) ففتحها سابور عنوة فقتل الضيزن يومئذٍ واباد بنى العبيد وافنى قضاعة الذين كانوا مع الضيزن فلم يبق منهم باقٍ يعرف الى اليوم واصيبت قبائل حلوان وانقرضوا ودرجوا فقال فى ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضيزن (الابيات)... قالوا: وكان الضيزن صاحب الحضر يلقب الساطرون وقال غيرهم : بل الساطرون صاحب الحضر كان رجلاً من اهل باجرمى والله اعلم.

فانت ترى من هذا الكلام الذى بسطناه بجملته ان الاجرام او بنى جرم او الجرميين هم الجرامقة بعينهم لان بعضهم سماهم باسمهم العربى والبعض الآخر سماهم باسمهم المنقول الى الصورة الاعجمية الفارسية . واما مسئلة الساطرون وهل هو الضيزن ام لا؟ وهل هو عربى ام لا؟ فهاتان مسئلتان اخريان لا نتعرض لهما الان.

ودليلنا الثالث على ان الجرامقة هم بنو جرم هو: وحدة الاسم وان اختلفت صورتاه . فجرم تلفظ « جرما » على اللغة الارمية وهى لغة عوام ذلك العصر وجرما تلفظ « جرمق » بلغة الفرس وكانت يومئذٍ لغة سادة البلاد كما هو الحالة فى العراقيين اليوم فان لغتهم هى العربية ولغة الدولة الحاكمة عليهم هى التركية . قال المسعودى فى كتابه الاشراف ص ٩١ : جاء زرادشت بالكتاب المعروف بالابستا واذا عرب اثبت فيه قاف فقيل : الابستاق » اه وعلى هذا الوجه عربت كلمة جرمق هذه .

وحجتنا الرابعة ماذكره صاحب الاغانى (فى ١١ : ١٦٢) ان العباد (وهم اقوام شتى من نصارى العرب نزلوا الحيرة وكان اغلبهم من قضاعة) هزمهم سابور فصار معظمهم ومن فيه نهوض الى الحضر من الجزيرة يقودهم الضيزن بن معاوية التنوخى فمضى حتى نزل الحضر وهو بناء الساطرون الجرمقانى فاقاموا به . اه .

ومن مؤرخى العرب الذين ذهبوا الى عربية الجرامقة ابن خلدون. قال (فى ٢ : ١٧١) : كان بحيال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وبها ملك من الجرامقة يقال له الساطرون من ملوك الطوائف وهو الذى يقول فيه الشاعر :

وارى الموت قد تدلى من الحضـ ـر على رب اهله الساطرون
ولقد كان آمناً للدواهى ذا ثراء وجوهر مكنون

وقال المسعودى: هو الساطرون بن استطرون من ملوك السريانيين قال الطبرى وتسميه العرب الضيزن. وقال هشام بن محمد الكلبى: هو من قضاعة وهو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجدم (كذا فى الاصل المطبوع وهو خطأ والاصح الاجرام) بن عمرو بن النخع بن سليم (كذا والاصح بن سليح) .. من قضاعة. وكان بارض الجزيرة وكان معه من قبائل قضاعة مالا يحصى . وكان ملكه قد بلغ التمام .اه.

وذكر ابن سعيد (راجع ابن خلدون ٢ : ٢٤٩) انه كان لبنى العبيد بن الابرص بن عمرو بن اشجع بن سليح (وبنو سليح بطن من قضاعة من القحطانية) ملك يتوارثونه بالحضر آثاره باقية فى بربة سنجار .وكان آخرهم الضيزن بن معاوية بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطروز وقصته مع سابور ذى الجنود من الاكاسرة معروفة اه .

وممن صرح بعربية الجرامقة ابن ساعد الاندلسى فى كتابه طبقات الامم قال فى ص ٤٥ عند ذكره اخبار العرب ونقلهم اياها : « ومن وقع بجبل طيئ فمنه اتت اخبار آل اذينة والجرامقة » فهذا نص صريح على ما نذهب اليه. ولاسيما اذا علمت ان من مساكن بنى جرم بعض ديار طيئ .قال ياقوت فى مادة القريتين: موضع فى ديار طيئ يختص ببنى جرم. وقال فى مادة الموقف: قرية ذات نخل وزرع لجرم فى اجأ احد جبلى طيئ . وقال فى فردة : فردة جبل فى ديار

طيء يقال له فردة الشموس . وقيل : ماء الجرم في ديار طيء .

وقال ياقوت في مادة جزيرة اقور : « لما تفرقت قضاعة في البلاد سار عمرو بن مالك التزيدي في تزيد وعشم ابني حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وبنو عوف بن ربان وجرم بن ربان الى اطراف الجزيرة وخالطوا قراها وكثروا بها وغلبوا على طائفة منها فكانت بينهم وبين من هناك وقعة هزموا الاعاجم فيها . (قلت : ارتأى بعض العلماء ان معنى الفرثيين : الاعاجم واخلاط الناس فلعل المراد بالاعاجم هنا الفرثيون) فاصابوا فيهم فقال شاعرهم جدى بن الدلهاث بن عشم العشمي .

صففنا للاعاجم من معد صفوفاً بالجزيرة كالسعير
لقيناهم بجمع من علاف ترادى بالصلادمة الذكور
فلاقت فارس منهم نكالاً وقاتلنا هرابذ شهرزور

ولم يزالوا بناحية الجزيرة حتى غزا سابور ذوالاكتاف الحضر وكانت مدينة تزيد فافتتحها واستباح مافيها وقتل جماعة من قبائل قضاعة وبقيت منهم بقية قليلة فلحقوا بالشام وساروا مع تنوخ » . اه .

ولو اردنا ان نأتي بجميع الاسانيد التي اوردها مؤرخو العرب لضاق بنا المجال وقد اجتزنا بما ذكرنا خوف الاطالة على غير جدوى .

واحسن برهان نأتي به اثباتاً لما نقول هو شهادات اهل الغرب انفسهم من رومان ويونان على ان اهل الحضر كانوا عرباً . فقد نقلوا في كتبهم (١) عن طرايانس قيصر انه اخضع امماً شتى لرومة حتى ان الرومانيين كانوا يسمعون كل يوم باسم جيل جديد يذعن لصولجانهم لم يسمعوا به سابقاً وقد انقضى الامر الى ان مجلس الشيوخ قرر ان يحيي طرايانس من مجالي الظفر والنصر بقدر مايريد وعلى مايريد . وقد كانت تهيأت رومة وايطالية كلها لتستقبلاه بكل مايليق به من الابهة والعظمة والجلالة الا انه لم يرذلك . والسبب هو انه ذهب ليحاصر (الحضر) وهي مدينة عربية ، فلم يفلح واخفق سعيه وظن انه سم فنهض مريضاً من تلك المحاصرة شاخصاً الى بلاده لكنه لما وصل الى سلندى (سلينتة Sélinonte) في قليقية توفي فيها سنة ١١٧

(١) راجع مثلاً المورخ رورباكر ٥ : ٦٠
l'Abbé Rohbacher . His. Univ. de l'Egl. Cath. - 3e. éd. T.v. p. 60 .

وقد ذكر المؤرخون مثل هذا الفشل للامبراطور سويرس وقالوا ايضاً انه اخفق في محاربته للعرب الذين كانوا في الحضر .

بيد اننا لا ننكر ان كثيرين من المؤرخين يذكرون اسم الفرث او الفرس بدلاً من ان يقولوا « الحضر او عرب الحضر » حينما يذكرون هذه الوقائع وقائع الرومان مع اهل الحضر . ولابد لذلك من سبب وها نحن نشرحه :

يوم حارب الرومان عرب الحضر كانت هذه المدينة تحت سطوة الفرث الذين يسميهم العرب : الفرس (بفتح الفاء اى Parthes لا الفرس بضم الفاء اى Perses ومنهم من يجعل الواحدة على الاخرى ويخلط اللفظين) او كانت بلدتهم داخلة في اراض يحكم عليها الفرث . واذا كانت تلك المدينة على تلك الحالة جاز للمؤرخ ان يسميها بلدة عربية لان اغلب سكانها عرب وبلدة فرثية او فرسية لكونها كانت في ارض البرثيين او كانت تحت حكمهم ومن هذا نشأ الاختلاف في التعبير على ان اغلب المؤرخين الاقدمين كانوا يروون الحوادث والوقائع ذاكرين ان العاملين الرومانيين حاربا عرب الحضر لا غير .

٥ . اعتراضات المخالفين لرأينا .

قد يعترض علينا هذا الاعتراض وهو : ان اهل الحضر لم يكونوا عرباً لان لغتهم كانت فرثية وسريانية او جرمقانية ومن لم تكن لغته عربية لم يكن عربياً . قلنا : سبق الكلام على ان الجرميين كانوا في قلب بلاد الفرثيين او البرثيين . وكان اهل الحضر يتكلمون ثلاث لغات : الفرثية لغة سادات البلاد ، والسريانية لغة عوام البلاد واهاليها ، والعربية لغة القوم انفسهم . وعلى هذا لا يكون تناقض ولا يقوم علينا اعتراض ذو شان . وكانت حالة الجرميين يومئذ كحالة التلكيفيين في يومنا هذا . فان منهم من يعرف التركية وهم الذين يريدون الدخول في وظائف اهل الحل والعقد ، والعربية وهم الذين يعيشون بين اهالي البلاد لكونهم عرباً ، والارامية وهي لغة اقوامهم او بنى عنصرهم .

٦ . اللغة الجرمقانية هي فرع من اللغة الارمية

ليس في كتبنا التاريخية والمعاجم اللغوية ما يهدينا الى معرفة حقيقة اللغة المسماة بالجرمقانية ، فان المستشرقين لم يبتوا حكماً في هذه المسألة الى يومنا هذا وذلك لان ابن الفقيه يقول في كتابه : مختصر كتاب البلدان ص ٧٧ : « الروم

ملكانية يقرأون الانجيل بالجرمقانية » ثم يقول في ص١٣٦ من كتابه المذكور « الروم كلهم نصارى ملكانية ويقرأون الانجيل بالجرمقانية فلا جرم انه يتكلم عن روم ديار الافرنج والحال انه لم يقرأوا الانجيل بالجرمقانية بل باليونانية او بالرومية فكيف تؤول عبارة ابن الفقيه هذا المعروف ايضاً بابي بكر احمد الهمذاني . — قلنا : جرمقانية روم الافرنج مبنية على وهم الملكانية او الملكائية فيهم لاغير . ولما كان ملكائية ديار الشام يقرأون الجرمقانية في ذلك العهد ويفهمونها ظن الكاتب ان كل ملكائي يقرأ الجرمقانية ويفهمها . ولما كان اغلب روم الافرنج ملكائيين حمل شيئاً على شيء وهذا هو سبب الوهم لاغير . والافان الجرمقانية بمعنى فرع من فروع الارمية اشهر من ان يذكر . قال العلامة في السريانية الانكليزي پاين سميث في معجمه السرياني اللاتيني الكبير ما معناه (١ :٥٨٥) جرمقي وجرمقايا هو الجرمي او الجرمقي اي من كان اهله من بيت جرمي » وهذا اسم صقع . وبالعربية : الجرمقاني والجمع الجرامقة وذكر ابن بهلول : اللسان الجرمقي ..قال سوبرس في كتاب له في النحو في كلامه عن اللغتين الاثورية والجرمقية : ان مزيتهما انهما تبدلان الباء والفاء واواً . اه بحذف ذكر الاسانيد التي ينقل عنها . ومن هنا ترى ان الجرمقانية هي كالاثورية اي فرع من اللغة الارمية لاغير وبدون ريب .

٧ . ديانة الجرامقة

كانت ديانة الجرميين او الجرامقة الوثنية وعبادة الاجرام السماوية طالما كانوا في ديارهم العربية . ومن اوثانهم المشهورة عندهم يومئذ الاقيصر وذو الخلصة وغيرهما . ولم نعثر في مؤلفات القوم على من تنصر منهم وهم في ربوعهم بل انهم تنصروا لما انتقلوا الى الجزيرة الى الصقع الذي عرف من بعد نزولهم فيه باسم « باجرمي او بيت جرمي او ديار بني جرم او بلاد الجرامقة » وقد دانوا بالنصرانية منذ اول عهد انتقالهم اليها وتمسكوا بها كل التمسك . وان لم يكونوا كلهم عليها في وقت واحد وفي جميع الديار التي احتلوها ، وكان صقع باجرمي واقعاً في شرقي دجلة بين دجلة و لزاب الاصغر وجبال حمرين ونهر ديالى . والدليل على انهم انتحلوا المسيحية منذ القرون الاولى جملة من اشتهر منهم بالامامة والقداسة والشهادة في عهد سابور الملك (سنة ٣٣٠) ومن الاسقفيات التي تذكر في برنامج ايليا الدمشقي : شهرقرد (المعروفة اليوم باسم شرقاط او شرقاد) ، ودقوقا ،

والبوازيج ، ودارباد ، وخانجار . وقدشهد الصوباوى ان القديس شمعون (المتوفى سنة ٣٣٠) هو الذى انشأ مطارنة الجرميين . وكان لها المقام الرابع بين المطارنات النسطورية كما يتضح ذلك من الطقس الحبرى الخاص بهم . وكان يلقب احياناً مطران تلك الديار بلقب مطران الكرخ وشهرقرد وباسلوخ او بيت سلوخ اوكرخ سلوخ وهى كركوك الحالية وفيها كان كرسى هذا المطران.ـ ولما ظهرت النسطورية صباً اغلب اولئك الاقوام الى المذهب الحديث ولما عرفوا غلطهم رجعوا الى دين آبائهم القديم اى الى الكثلكة . قال بطرك الموارنة السيد بولس بطرس مسعد فى كتابه الدر المنظوم المطبوع سنة ١٨٦٣ ص ٩١ ما حرفه : « كان رجوع سعدون (اى سهدونا) الاسقف وشعب الجرميين او الجرمقيين (الجرامقة) فى بلاد العراق فى زمان بطريركهم يشوعيهب الغدلى (اى ايشوعيهب او ايشوعياب او يشوعياب الجذالى) نحو سنة ٦٣٠ » اهـ.

قلنا : وآخر مطران عرفنا اسمه من مطارنة الجرميين هو الاسقف سمعان الذى جلس على كرسيه فى شهر شباط سنة ١٣١٨ وكان نسطورياً .

وقليلون منهم انتحلوا اليعقوبية ومن مطارنتهم قسطنطين الذى رافق بوحنا السابع سنة ٩٦٩ الى القسطنطينية .

وقال مارى بن سليمان فى فصل الفطاركة ص ٧٠ : «وكاتب يوماً اسقف كشكر الآباء بالحضور وحضروا فاختاروا مروى الاركيذياقن واهل الحيرة حنانيشوع والجرامقة . وخالفهم يعقوب بن يزدين الكشكرى واختار جيورجيس الراهب من عمر باحالا اهـ وهذا يدل على ان الجرامقة كانوا نساطرة فى ايام حنانيشوع الثانى .

فترى مما تقدم ذكره ان اغلب الجرميين او بنى جرم او الجرامقة كانوا نصارى فى ديار الجزيرة لكنهم لم يكونوا جميعهم مسيحيين . اذ كان بينهم مجوسيون ولاسيما فى الحضر نفسها . يشهد على ذلك هيكل الشمس الذى كان موجوداً فى تلك العاصمة فى عهد العاهلين الرومانيين طرايانس وسويرس .— ولما ظهر الاسلام فى بلاد العرب دان به كثيرون منهم ممن كانوا فى تلك الربوع . قال ابن خلدون فى تاريخه (٢٤٧:٢) فى بنى جرم ومواطنهم : بنو جرم بن ربان(١)

(١) ربان برآء مهملة بعدها باء موحدة مشددة يليها الف ثم نون وردت مصحفة

بن حلوان بن عمران : بطن كبير (من قضاعة) وفيهم كثير من الصحابة. ومواطنهم مابين غزة وجبال الشراة من الشام وجبال الشراة من جبال الكرك.(١)

٨ - ديارهم الاصلية

ديار بنى جرم الاصلية هى نفس ديار قضاعة لانهم جذم منهم . على انه قد جاء فى كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى (ص ١٦٣) ما هذا حرفه: ديار جرم من بين العرب متفرقة منها باليمامة، ومنها بالبصرة ، ومنها بالعقيق ومنها بحضرموت . وكان لها دار بصعدة فى وادى يشور ولها دار مابين صنعاء ومارب، ولها بدثينة واحور مسلم وخاصة ابنى دينار وبنى سبيلة» اه. وقد ذكرنا قبيل هذا كلام ابن خلدون فى هذا الصدد ولاحظنا فى الحاشية انه مخطئ فى كلامه ذلك وان مايشير اليهم وانهم موجودون فى انحاء غزة هم جرم طيئ لا جرم قضاعة.

وقال صاحب الاغانى عن جرم قضاعة ان منازلهم كانت بالفلج (راجع ١١٨:٧) وفى نواحى الشام مع محالفيهم كلب وعذرة (١١٨:٧) .

فى كتب خطية ومطبوعة بصورة زبان (كما فى نسخة تاريخ ابن خلدون المطبوعة) وريان كما فى كتب كثيرة من قديمة وحديثة . والاصح ما اوردناه . وقد اختلف فى ضبطها . قال فى تاج العروس فى مادة ر ب ن : ربان ككتاب اسم لشخص من جرم وليس فى العرب ربان بالراء غيره ومن سواه بالزاى . قلت (اى صاحب التاج): الذى صرح به ائمة النسب انه ربان كشداد . وهو ابن حلوان وهو والد جرم من قضاعة . ينسب اليه جماعة من الصحابة وغيرهم . وهكذا ضبطه الحافظ الذهبى وابن حجر وابن الجوانى النسابة وقوله (اى قول الفيروزبادى) اسم لشخص من جرم غلط ايضاً فتأمل . اه .

قلت انا : واما شاهد تشديد الباء من ربان فكقول حميد بن ثور الهلالى :

نزيمان من جرم بن ربان انهم ابوا ان يميروا فى الهزاهز محجما

(راجع كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٣٠ من طبعة ليدن)

(١) نقل القلقشندى فى كتابه انساب العرب كلاماً يدحض كلام ابن خلدون هذا. قال فى مادة « بنو جرم »: قال الحمدانى ومنهم بنو جشم وبنو قدامة وبنو عوف. قال فى العبر : ومنهم جماعة من الصحابة رضه : قلت ووهم القاضى ولى الدين بن خلدون اذ قال فى تاريخه ومنهم جماعة من الصحابة ومنازلهم ما بين غزة وجبال الشراة من جبال الكرك . قلت (اى القلقشندى) : وكانه توهم ان جرم الذين ببلاد غزة هم جرم قضاعة والا فقد تقدم فى الكلام على جرم طيئ انهم هم النازلون ببلاد غزة كما ذكره الحمدانى وهو اعرف بذلك وأفقه لانه كان مهتماً بذلك ومن شانه معرفة العرب الواصلين الى الابواب السلطانية . اه .

ثم نزلوا السماوة . قال (فى ١١ : ١٦٢) : اغارت حمير على بقية قضاعة فخيروهم بين ان يقيموا على خراج يدفعونه اليهم او يخرجوا عنهم فخرجوا وهم كلب وجرم والعلاف . وهم بنو ربان بن تغلب بن حلوان . وهو اول من عمل الرحال العلافية . وعلاف لقب ربان فلحقوا بالشام فاغارت عليهم بنو كنانة بن خزيمة بعد ذلك بدهر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانهزموا فلحقوا بالسماوة فهى منازلهم الى اليوم . » اه .

٩ - اوصافهم حينما كانوا فى ديارهم

القبائل كالرجال لها من يمدحها ولها من يقدح بها . قال زيد الخيل يمدح بنى جرم عند الخليفة عمر : « جرم فوارس الغدرة ، وطلاعو نجوة ، ولا تحل لهم حبوة ، ولا تراع لهم ندوة ، ولا تدرك لهم نبوة ؛ عمود البلاد ، وحية كل واد ، واهل الاسل الحداد ، والخيل الجياد ، والطارف والتلاد . (عن الاغانى ١٦ : ٥٠) — وقال من يذمهم وهو حميد بن ثور الهلالى يكلم رجلين ارسلهما فى قضاء امر :

وقولا اذا جاوزتما ارض عامر وجاوزتما الحيين نهداً وخثعما
نزولان من جرم بن ربان انهم ابوا ان يميروا فى الهزاهز محجما

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء ص ٢٣١ من طبعة ليدن : امرهما ان ينسبا الى جرم لان العرب تأمنها لذلها ولا تخاف منها غارة . » اه .

١٠ - الخلاصة

هذا بعض ماوصلت اليه يدنا من التحقيق وهناك تفاصيل غير هذه وانما اجتزأنا بما ذكرنا حباً للاختصار . ونحن نقضى العجب من ان دائرة المعارف للبستانى ومعلمة الاسلام للمستشرق الافرنج ارباب الفنون المتخصصين لها لا تذكران شيئاً عن الجرامقة ولا عن جرم او بنى جرم او الجرميين او الاجرام مع انك رأيت خطورة هذا البحث ومنزلته من التاريخ مما وقفت عليه فى مطاوى هذه السطور . فعسى ان يعوض عن هذا النقص بما يفيد القوم فى الملحقين اللذين يدرج فيهما ما فات اولئك المؤلفين . هذا ما فى وطابنا ومن زادنا تحقيقاً زدناه شكراً .

الشيخ عثمان بن سند البصرى

Le Cheikh Othmân ben Sanad al-Bisry.

١ : مقدمة تمهيدية